الفلسطيني الرسمي من مستقبل القضية الفلسطينية[٢٣]. إلّا ان الهامّ في الأمر هو ان مؤيدي هذا البرنامج على الساحة الفلسطينية شدّدوا، عند طرحه، على أهمية تمييز الدولة الديمقراطية المنشودة عن مشروع انشاء دولة فلسطينية على جزء من ارض فلسطين. وهكذا فقد ندّد نبيل شعث، في دراسة نشرتها مجلة شؤون فلسطينية ، العام ١٩٧١، تحت عنوان «فلسطين الغد» بالمحاولات الهادفة إلى «تقديم، وتلفيق، بديل قوي للدولة الديمقراطية هو الدولة الفلسطينية المنفصلة على اجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة»، معتبراً أن «التشابه كبير جداً بين ' الدويلة' المقترحة وبين البانتوستانات التي انشاتها الحكومة العنصرية الأوروبية البيضاء السود المستعبدين في جنوب افريقيا»؛ ليخلص إلى التأكيد ان «النموذج الوحيد المقبول لفلسطين الغد، بيهودها وعربها، هو النموذج الذي طرحته الثورة الفلسطينية: نموذج الدولة الديمقراطية التقدمية اللاطائفية الموحّدة»[٢٤].

وبشكل عام، يمكن ارجاع هذا التشدد، الذي أبدته حركة المقاومة الفلسطينية في رفض مشروع الدولة، إلى ان حركة المقاومة لم تعتبر نفسها، من الأساس، معنيّة بالنتائج التي أسفرت عنها حرب حزيران (يونيو)، وهو ما عبّر عنه القائد الفلسطيني، ياسر عرفات، بعبارات واضحة، خلال خطاب جماهيري القاه في عمّان، في مطلع آب (اغسطس) العام ١٩٧٠، حين حدّد هدف الثورة الفلسطينية بالقول: «نحن غير معنيّين بما حدث في حزيران (يونيو)، ولا بازالة آثار حزيران [يونيو]، ولكن الثورة الفلسطينية معنيّة باجتثاث الكيان الصهيوني من ارضنا وأرض أجدادنا وتحريرها، لتعود عربية كما كانت»[٢٥]. وبأخذ مدلولات هذه الملاحظة بعين الاعتبار، لا يعود من الصعب تفسير كون البدايات الأولى لتحوّل مواقف بعض القوى الفاعلة داخل منظمة التحرير الفلسطينية من موضوع الدولة الفلسطينية قد تزامنت، في ظهورها، مع تراجع، ثمّ تصفية، الوجود الفلسطيني المسلّح على الساحة الاردنية، اثر احداث ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠، التي شكّلت بالنسبة الى الساحة الفلسطينية، صدمة سياسية وعسكرية يمكن مقارنتها بالصدمة التي اصابت الساحة العربية في حزيران (يونيو) ١٩٦٧.

البرنامج المرحلي

في معرض تقويمه للنتائج التي أسفرت عنها احداث الاردن العام ١٩٧٠، أشار صلاح خلف الى ان احد الدروس المؤلمة التي خرجت بها القيادة الفلسطينية من تجربة عملها على الساحة الاردنية هو ان «الثورة الفلسطينية لا تستطيع الاعتماد على أية دولة عربية تعطيها ملجأ أو قاعدة للعمليات ضد اسرائيل»، وانه «لكي نمضي قدماً نحو غايتنا في اقامة المجتمع الديمقراطي اللاطائفي لا بدّ لنا من دولة خاصة بنا، ولو على شبر واحد من فلسطين»[٢٦]. ومع ذلك، فان تتابع الاحداث أظهر ان الساحة الفلسطينية لم تكن مهيّأة، خلال تلك المرحلة، لتقبّل مثل هذا التحليل، ولتعديل خطها السياسي وفق مقتضيات عبره المستفادة. وهكذا، لم يكن القبول بمشروع اقامة الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين ممكناً، الّا بعد مخاض عسير، عبر مواجهات ساخنة بين فصائل حركة المقاومة التي ازدادت خلافاتها بعد تراشق الاتهامات حول مسؤولية ما حدث في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠. وذكر بعض المصادر ان «المصارحة» الفلسطينية الاولى حول موضوع اقامة الدولة الفلسطينية في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة أُجريت خلال اجتماع عاصف عقدته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية في دمشق، بتاريخ الثامن من شباط (فبراير) ١٩٧١، واستمر مدة ١٤ ساعة متواصلة.